المؤسسة العسكرية العثمانية بين الإيجابية والسلبية

(دراسة تحليلية في أثرها الإداري والاقتصادي والاجتماعي)

د. علي إبراهيم*

-ملخص-

حفل التاريخ العالمي بظهور العديد من الدول العظمى والتي كان لها الأثر الكبير في تغيير خارطة العالم على مر العصور ، وكانت الدولة العثمانية من أشهر الدول الإسلامية التي بلغت من المكانة والشأن ضمن التاريخ و امتدت إلى ستة قرون ونيف ، فقد كانت من أعظم الدول من حيث المساحة والعمر وقد شهد العثمانيون مختلف التطورات التي عرفها العالم خلال القرن الثالث عشر نظروا إلى الحرب على أنها واجبهم الأول واستأثر الجيش بالمكانة الأولى من عناية السلاطين، فقد كان المبدأ الأساسي لديهم الغزو والجهاد وكانت المؤسسة العسكرية العماد الذي قامت عليه توسعاتهم وسيطرتهم على المناطق المختلفة ، وبالتالي فإن شرعية هذه المؤسسة جاء من خلال إسهامها الفاعل في ذلك الصعود والنمو العثماني فكانت النشأة على أكتافها والحدود رسمت على أساس قدرتها في الحماية فكان دورها استثنائياً في حياة العثمانيين ، وجاء هذا البحث ليسلط الضوء على إسهامات تلك المؤسسة إدارياً، واقتصادياً واجتماعياً بعيداً عن المنحى التقليدي العسكري ومعرفة الصورة الإيجابية التي قدمتها، وكيف تحولت إلى المنحى السلبي وأبرز الانعكاسات الناجمة عن ذلك ،وتنطلق هذه الدراسة من فرضية منهجية تؤكد أن المؤسسة العسكرية العثمانية لم تكن مجرد أدالة قتالية حربية،بل كانت البنية الهيكلية الشاملة التي صاغت الجوانب الإدارية والاقتصادية والاجتماعية للدولة،وبناء عليه فإن تحليل هذه الأدوار

* أستاذ مساعد-كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة اللاذقية -اللاذقية -سوريا

والارتدادات المتداخلة يعد مدخلا بنيويا إلزاميا لتفسير مدى كفاءة القدرة العسكرية العثمانية ، وفهم آليات تحولها من منطلق القوة والإيجابية التنظيمية إلى منزلق الضعف و السلبيات الإدارية الناتجة عن تغلغل النفوذ العسكري في مفاصل الدولة.

الكلمات المفتاحية : المؤسسة العسكرية ، الدولة العثمانية ، المالية ، الإدارية ، الأثر

The Ottoman Military Institution: Between Positive and Negative Aspects

An Analytical Study of its Administrative, Economic, and) (Social Impact

-Abstract-

World history is replete with the emergence of many great powers that had a significant impact on changing the world map throughout the ages. Among the most famous of these Islamic states, which attained a position of prominence and importance in history that extended for over six centuries, was the Ottoman Empire. It was one of the greatest states in terms of area and age. The Ottomans witnessed various developments that the world experienced during the thirteenth century. They viewed war as their primary duty, and the army occupied the foremost place in the sultans' attention. Their fundamental principle was conquest and jihad, and the military institution was the pillar upon which their expansions and control over various regions were based.

Consequently, the legitimacy of this institution came through its active contribution to that Ottoman rise and growth. The state was founded upon its shoulders, and borders were drawn based on its ability to protect them. Its role was exceptional in the lives of the Ottomans. This research aims to shed light on the contributions of that institution administratively, economically, and socially, moving beyond the traditional military approach, to understand the positive image it presented, how it turned negative, and the most prominent repercussions resulting from that.

Keywords: Military establishment, Ottoman state, finance, administration, impac

مقدمة :

كانت المؤسسة العسكرية وليدة للطبيعة القبلية العسكرية للعثمانيين منذ نشوء إمارتهم في الأناضول في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، إذ برزوا كتنظيم قبلي ذي نزعة عسكرية بحكم الظروف الصعبة التي كانت تحيط بهم وقد وصفت إمارتهم نتيجة لذلك ب(إمارة الغزاة)، وقد تمكنت من تحقيق النجاح بصورة تدريجية بفعل ذلك التنظيم العسكري وتوسعت على حساب جيرانها البيزنطيين في الغرب، والسلاجقة في قونية بآسيا الصغرى من طرف آخر وحافظ العثمانيون على طابعهم العسكري حتى نهاية دولتهم .

هذا وقد برع العثمانيون في التنظيم العسكري فقد اقتبسوا الأساليب التي كانت سائدة لدى السلاجقة ومزجوا معها خبرتهم ونتاج دراساتهم للأساليب العسكرية البيزنطية، ولم يكتفوا بذلك بل عملوا على

تطويرها، وغدت الأساس التي بنيت عليه مؤسستهم العسكرية، والجدير بالملاحظة أن ما عزز نمو النزعة العسكرية لدى أفراد هذه الإمارة وقوعها على الحدود أو ما يسمى (دار الحرب).

لقد انطوت داخل هذه المؤسسة العسكرية عدة تشكيلات منها ما كان نظامياً، ومنها ما كان غير نظامي كانت جل اعتماد العثمانيين عليها خارجياً ، فقد كانت القوات الإقطاعية في المقدمة سواء من حيث القدم أو من خلال ما وفره ذلك النظام الإقطاعي من موارد لها، وإعداد الكثير من الجند دون أن يكلفها ذلك أعباء مالية في حين مثل الجيش الإنكشاري الركيزة العسكرية الأخرى للدولة لا سيما مع تراجع وتلاشي دور القوات الإقطاعية شيئاً فشيئاً وتحول أفراد هذه الفرقة إلى قوام المؤسسة العسكرية .

وإلى جانب القوتين المذكورتين كان هناك قوى أخرى مساعدة ومكملة لها ، مثل سلاح المدفعية والنقل والذين لم يقل دورهم عن سابقيهم، وأبلوا بلاءاً حسناً في الحروب الأولى من عمر الدولة العثمانية ، فضلاً عن القوة البحرية، والتي نمت في عهد السلطان محمد الفاتح، وتطورت قدراتها القتالية في عهد السلطان سليمان القانوني لتشهد ضعفاً عاماً بعد وفاته ..

وعلى الرغم من أن الدور الأول لهذه المؤسسة هو الشق الحربي إلا أن هذا البحث جاء ليسلط الضوء على مضمار آخر هام أسهمت فيه ضمن النواحي الإدارية والمالية، والاجتماعية والتي كانت ذات ارتباط وثيق في صعود الدولة أيضاً وتدهورها في ذات الوقت، وبيان كيف تجلى ذلك وما هي أهم نتائجه .

أهمية البحث وسبب الاختيار:

تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال تجاوز سرد المعارك والفتوحات فأغلب الدراسات حول الدولة العثمانية تركز على تاريخها السياسي والعسكري فكان البحث محاولة لتحليل الكيفية التي شكلت بها المؤسسة العسكرية الهيكل الإداري والمالي للدولة وما هي أبرز الخدمات الاجتماعية التي أسدتها، كما أن البحث محاولة لفهم البنية المؤسسية للدولة فالمؤسسة العسكرية لم تكن مجرد جيش بل كانت مختبراً لإنتاج

النخب الإدارية (مثل الصدر الأعظم والولاة) ومحركاً للسياسات المالية (نظام التيمار ، الضرائب الحربية ، إدارة الغنائم) كما تستمد الدراسة أهميتها أيضاً من شق آخر هو محورية المؤسسة العسكرية في التأسيس والتطور، فقد كانت العمود الفقري للدولة منذ نشأتها فهي أداة التوسع، والفتح وهي صانعة القرار السياسي .

إشكالية البحث :

كيف تجلى الأثر المتبادل والجدلي بين المؤسسات العسكرية العثمانية والنظامين الإداري والمالي والواقع الاجتماعي للدولة ؟ وإلى أي مدى شكل هذا التفاعل الديناميكي جوهر القوة الصاعدة للدولة في فترات ازدهارها ثم تحول مع تغير المعطيات إلى أحد الأسباب العميقة لأزمتها الداخلية وتراجعها ؟

ولشرح هذه الإشكالية المعقدة وتحليلها يمكن تقسيم البحث عبر التساؤلات الفرعية التالية :

1-كيف أسهمت المؤسسة العسكرية في خلق النخبة الإدارية والمالية والاجتماعية؟

2-ما هي الأسس المالية التي قامت عليها المؤسسة العسكرية وكيف شكلت هذه الأسس النظام المالي للدولة بأكمله ؟

3-من هي أبرز الشخصيات التي كانوا نتاجاً لنظام الدفشرمة ولعبوا دوراً في نواحي الدولة العثمانية المالية والإدارية والاجتماعية ؟

3-كيف أصبحت المؤسسة العسكرية بذاتها عاملاً مباشراً في إثارة الأزمات المالية والإدارية والاجتماعية ؟

منهج البحث :

تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج التحليلي الذي يقوم على تفكيك النصوص إلى عناصرها الأولية ودراستها بصورة دقيقة كل منها على حدى بهدف الوصول إلى فهم شامل ونتائج علمية تستند إلى الأدلة والحجج وليس مجرد وصف أو رفض .

أولاً : شكل القوة العسكرية للدولة العثمانية في مراحلها الأولى :

لقد كانت فكرة الجهاد هي الطاغية على عقول العثمانيين منذ بروزهم على مسرح الأحداث ومن الطبيعي كنتيجة لذلك أن ينصب اهتمام سلاطينهم على القوة الحربية، وكيفية تطويرها وخلق جيش قوي قادر على الانطلاق بفتوحاتهم وتحقيق الانتصارات المتعددة . [1]

احتل الجيش مكانة بالغة الأهمية في حياة الدولة العثمانية فقد كان يعد أداة واحدة للحكم والحرب فقد كانت الدولة العثمانية جيشاً قبل كل شيئ [2]، وبالتالي يمكن القول بأن الخصيصة الأولى للدولة العثمانية كانت العسكرية الصارمة والتي بدورها طبعت تصرفات العثمانيين، والدولة وسياستها العليا ، هذا ولم تكن تلك النزعة لدى العثمانيين طارئة، بل كانت أصيلة[3] والتي كانت مستمدة من بيئتهم الأولى في سهول آسيا. [4]

([1]) الغازي ، أماني بنت جعفر.(2007) . دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العمانية ، دار القاهرة ، مصر ،ص29.

([2]) ياغي ، إسماعيل أحمد.(1997). العالم العربي في التاريخ الحديث ، مكتبة العبيكان ، الرياض ،ص81.

([3]) الشناوي ، عبد العزيز محمد .(2004). الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة ،ج1،ص121

([4]) ياغي ، إسماعيل أحمد .(1996). الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، مكتبة العبيكان ، الرياض ،ص12.

اعتمد على المتطوعين في المراحل الأولى من عمر الدولة العثمانية في نواحي الحرب والجهاد فلم يكن هناك أي شكل للقوة العسكرية إلا المجاهدين الذي كان لهم دور واضح في تثبيت الدولة الناشئة وإرساء قواعدها فكانوا أداة الحرب في تلك الفترة . [1]

قبل القرن الرابع عشر الميلادي لم يكن للدولة العثمانية جيشاً نظامياً وإنما اعتمدت في عملية توسعها الأولى على قوة الخيالة والإقطاعيين[2]،حيث كان الجيش في عهد السلطان العثماني عثمان الأول(687-726هـ/1299-1324م) [3] يتألف من وحدات شبه عسكرية قبلية – أي من كل قبيلة وحدة عسكرية[4] ، وكانت هذه الفرق مقسمة إلى وحدات تتألف من عشرة أنفار ومئة نفر وألف نفر وكانت الدولة تدفع إلى أصحاب الإقطاعات العسكرية أقجة [5] واحدة كل يوم طوال الحملة العسكرية

([1]) الغازي . دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العمانية، ص29.

([2]) غربي ، الغالي . (2007).دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288-1916م) ، ديوان المطبوعات العربية ، الجزائر ،ص38.

([3]) السلطان عثمان الأول(687-726هـ/1299-1324م):أبو الملوك السلطان الغازي بن أرطغرل بن سليمان شاه، زعيم عشيرة قايي التركية وعامل سلاجقة الروم على إحدى الثغور الأناضولية ومؤسس السلالة العثمانية التي حكمت البلقان والأناضول والمشرق العربي والمغربين الأدنى والأوسط ،ولد سنة (656هـ)، وشب على البطولة والبسالة والكرم ولما انتقل والده إلى جوار ربه خلفه في قيادة جيش عشيرته وتوسعت الدولة في عهده توفي سنة (726هـ/1324م) ودفن في زاوية قلعة بروسة . حسنين، إبراهيم.(2014). سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، دار التعليم الجامعي ، ليبيا ، ص37.

([4]) بيتروسيان ، إيرينا . (2007).الانكشاريون في الإمبراطورية العثمانية ، تح: قسم الدراسات والنشر ، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث ، دبي ، ،ص38.

([5]) أقجة :هي الوحدة الأساسية الأولى للنظام النقدي العثماني ، و هي عملة فضية صكت لأول مرة بمرسوم سيادي في عهد السلطان أورخان غازي بمدينة بورصة عام 727هـ/1327م كرمز للاستقلال الاقتصادي . تميزت في بدايتها بنقاء فضي عال و وزن قارب 1.15 غرام ونتيجة للتضخم و بخس العملة لاحقا ،تراجعت قيمتها حتى استقرت حسابيا في العصور المتأخرة بحيث أصبحت البارة الواحدة تساوي 3 أقجات ، والقرش يساوي 120 أقجة . عامر ، محمود .(2024). المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية ،مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، ع117، ص355-381.

[1]، إضافة إلى جيش اليايا[2] التي تمت على يدها الفتوحات الأولى للعثمانيين، والتي كانت محصورة في منطقة الأناضول[3] وقد نظر إلى هذا الجيش على أنه الأساس الذي بنى السلاطين من خلاله قاعدتهم العسكرية. [4]

استعانة الدولة العثمانية أيضاً في تلك الفترة بجماعات الدراويش والتي تشكلت تحت مجموعة من التسميات منها :(غازيان روم) أي الآخية الروم و(أبدلان روم) أي درويش الروم وكان لهم دور كبير في عملية تتريك الأرضي التي يسطرون عليها. [5]

وبالتحليل المنهجي ،فإن هذا الحضور الاجتماعي والديني لجماعات الدراويش والآخية لم يكن حراكا مدنيا معزولا ، بل مثل استراتيجية عسكرية غير نظامية (لوجستية و عقائدية)وظفها السلطان عثمان الأول لتأمين خطوط ظهر القوات العثمانية ، وتحويل السواحل والمناطق المفتوحة حديثا في الأناضول

([1]) بروكلمان ، كارل .(1986). تاريخ الشعوب الإسلامية ، تر : منير البعلبكي ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ص414.

(3) اليايا(المشاة): جاء تشكيلهم كتوسع للإمارة العثمانية ، حيث رأى القادة العثمانيون ضرورة الاعتماد على قوات المشاة إلى جانب الفرسان فتشكلت هذه الفرقة من المسلمين الأتراك ، حيث يدفع لهم أجر أيام الحرب مقابل إعفائهم من الضرائب الزراعية بعد انتهام مهامهم العسكرية والعودة إلى أراضيهم وعندما دب الفتور بينهم وخمدت همتهم العسكرية جعل العثمانيين يبحثون عن إيجاد تعويض للتقص العسكري الذي تسببت به هذه الفرقة مما أدى إلى استحداث تشكيلات الجيش الإنكشاري . مروان ، محمد عمر .(2017). الإنكشاريون قوة الدولة وضعفها ، المجلة العلمية لكلية التربية ،ليبيا ، م2،ع8 ، ص321.

([3]) الأناضول : عرفت بلاد الأناضول عبر العصور التاريخية بأسماء مختلفة ، فقد عرفت في العصور القديمة باسم آسيا الصغرى ، كما أطلق عليها البيزنطيون اسم أنا توليا ،وكانت تعني أكبر التقسيمات في الإمبراطورية البيزنطية بآسيا، كما عرفت عند مؤرخي وجغرافي العرب في العصور الوسطى باسم بلاد الروم ، ومن حيث موقعها الجغرافي فهي تتدرج من الشمال إلى الجنوب لقارة آسيا متجهة صوب أوروبا، وهي تحديداً على أرض تركيا غرب آسيا بين سلسلتين جبليتين هما سلسلة بطنس في الشمال وسلسلة طوروس في الجنوب وتقع بين خطي عرض ستة وثلاثون و اثنان واربعون شمالاً، وبين خطي طول ستة وعشرون وخمسة وأربعون شرقاً . موستراس ، س.(2002). المعجم الجغرافي للدولة العثمانيَّة، تر: عصام احمد الشحادات، دار ابن حزم ، بيروت ،ط1، ص 200.

([4]) غربي . دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288–1916م)،ص37.

([5]) مجموعة من المؤلفين .(2008). موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،ص84.

إلى بيئة ديموغرافية حاضنة و آمنة ، مما شكل ركيزة إسناد اجتماعي وإداري دائم مكّن المؤسسة العسكرية الناشئة من مواصلة فتوحاتها.

بالإضافة إلى ما سبق فقد لدى السلطان عثمان الأول(687–726هـ/1299–1324م) حرسه العسكري الخاص المشكل من النواكير وهو من التقاليد القديمة التي تعود في جذورها إلى المنظمة الاجتماعية لدى قبائل آسيا الوسطى، وقد وجد لدى المغول ومن مميزات هذا النظام أن أفراده يرون أن من واجبهم خدمة أسيادهم بإرادتهم . [1]

وعلى هذا النحو فالجيش الذي كونه عثمان لم يأخذ صفة الجيش النظامي الذي تعتمد عليه الدول وقت الحاجة إنما كان أفراده يجتمعون وقت الإعلان عن الحرب عند انتشار المنادين بين قوات العشائر الأخرى فيجتمع آلاف المجاهدين من مختلف المناطق المجاورة، ومن القبائل التركية الراغبين في المشاركة بالجهاد متلهفين له . [2]

ثانياً : تشكيلات المؤسسة العسكرية :

1–المشاة :

أدرك السلطان أورخان (723–761هـ/1324–1360 م)عند قيامه بعمليات عسكرية أثناء فتوحاته وتوسيع دولته جغرافياً أنه بحاجة إلى جيش منظم من المشاة يعتمد عليه بعدما كان الفرسان الإقطاعيون يتأخرون في الوصول إلى ساحة القتال ولا يتحملون القيام بعمليات حصار طويلة المدى، وهذا راجع

(1) بيتروسيان ، إيرينا .(2006). الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية ، مركز جامعة الماجد للثقافة والتراث ، الكويت ،ص11.

(2) بن دهيش ، عبد اللطيف .(1988). قيام الدولة العثمانية ، دار النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ،ص28–29.

(3)عاشق باشا زاده ، أحمد بن يحيي (ت1484م). (1914). تواريخ آل عثمان ، تحقيق :عالي بك ، مطبعة أحمد كامل ، الأستانة (اسطنبول)، ص 42.

إلى تفكيرهم لخدمة أراضيهم جعله يسعى جاهداً لتأسيس جيش دائم، وذو احترافية وفق نظام جديد تعددت فئات هذا الجيش وفق المهام الموكلة إليهم [1]، كما قام بتطبيق نظام يسمح له بتكوين هذا الجيش من المشاة مصدره بناء غير المسلمين على النحو التالي :

-نظام الدفشرمة :

تعني في اللغة الجمع والقطف ويطلق عليها ضريبة الغلمان وهي ضريبة آدمية فرضت على المسيحيين من طرف السلاطين، حيث كانت الدولة تجمع الأطفال في سن مبكرة يتراوح أعمارهم ما بين سن السابعة والعاشرة و الذين تم اختيارهم مصدراً لتكوين جيش المشاة بالإضافة إلى الأولاد المشردين والأيتام وهذا وفق قانون الخمس الذي أصدره السلطان أورخان في كل قرية أو مدينة لأن السلطنة العثمانية أثناء فتوحاتها كان لها الحق في أخذ العديد من الغنائم و الأسرى . [2]

أما عن آلية التنفيذ فقد كان السلطان يصدر أوامره إلى مجموعة من المندوبين في تلك المناطق المختلفة لجمع هؤلاء الأولاد، وكان يستثنى من هذا النظام الوحيد لأهله، أو الأطفال الرضع، كما كان يمتنع أخذ من جاوز الحلم لصعوبة تنسيتهم أهلهم، وموطنهم والجدير بالملاحظة أن تطبيق نظام الدفشرمة قد طبق بصورة موسعة على أبناء المزارعين في القرى . [3]

(4) ابن كمال (كمال باشا زاده)، أحمد بن سليمان (ت 1534).(1316هـ). رسائل ابن كمال ، مطبعة أندام ، استانبول ،ص200.

([3]) المحامي ، محمد فريد بك .(1981). تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس ،بيروت ،ص123.

أما عن مدة التجمع فقد كانت تتم كل ثلاث سنوات أما في عهد السلطان بايزيد الأول(1389–1402م) أصبحت عملية دورية ، وكان يتم تلقين هؤلاء الأطفال مبادئ الدين الإسلامي، واللغة العثمانية ويحضرون بدنياً حسب المهام الموكلة بهم ويتحول السلطان للأب الروحي لهم . [1]

وفي بعض الأحيان كان المسؤولون عن تلك المهمة يقبضون الرشاوى من الأهالي المسيحيين وذلك لإنكار وجود أولاد يصلحون للانضمام لنظام الدفشرمة، حيث يقومن بتغيير بيانات الاعتماد في الدفاتر، ويزورون الأعمار لكن لسوء الحظ تم اكتشاف أمرهم من قبل السلطة، كما كان الأهالي يقومون في بعض الأحيان بختان الأولاد باعتبار أن المسلم لا يقبل انخراطه ضمن هذا النظام [2]، وحول هذا النظام يقول كارل بروكلمان : " أن العثمانيين انتزعوا أطفال النصارى بالغصب، والإجبار من أهاليهم واعتناقهم للإسلام دون إرادتهم وذلك لتكوين الجيش الإنكشاري بموجب نظام الدفشرمة "[3] ، كما يقول بيتر شوجر : " يمثل نظام الدفشرمة أوضح نموذج للإكراه لدخول الإسلام ". [4]

–فرقة الانكشارية :

كلمة انكشارية هي جمع لكلمة إنكشاري وهي عبارة تركية تتكون من كلمتين يني وتعني الجديد وجيري ومعناها النظام أي النظام الجديد وهو المصطلح الذي أطلق على نظام الجند الجديد[5] وهم عبارة عن فرقة من المشاة المحترفين لها امتيازاتها الخاصة[6] لقد كان الإسلام عقيدتهم، والقرآن هو كتابهم

([1]) البنا ، سونيا محمد .(2006). فرقة الانكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية ، أتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،ص26.

([3]) أبو غنيمة ، زياد .(1983). جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، سوريا ،ص122.
([4]) شوجر ،بيتر . (1998).أوروبا العثمانية ، ترجمة : عاصم الدسوقي ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ،ص74.
([5]) معاشي ، جميلة .(2007). الانكشارية والمجتمع بباليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، رسالة دكتوراه ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،ص2.
([6]) ياغي . الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ،ص91.

والسلطان العثماني والدهم والثكنة مأواهم، والحرب مهنتهم ويعد هذا الجيش أول جيش نظامي عرفه التاريخ وللعثمانيين السبق في نظامه وتكوينه. [1]

يذهب المؤرخون العثمانيون إلى أن فرقة الانكشارية قد جرى إنشاؤها في عهد السلطان أورخان إذ التفت هذا الأخير في بداية حكمه إلى سن قوانين، وإحداث التنظيمات الضرورية لحماية إمارته ، ولهذا اهتم أولاً بإعادة تنظيم الجيش الذي يشكل عماد الدولة كما سلف الحديث. [2]

إذ أنه باشر في إنشاء هذا الجيش عام(1330م)، إلا أن تنظيمه لم يكتمل إلا في عهد السلطان محمد الثاني ثم في عهد السلطان سليمان القانوني، وعلى أية حال فقد استطاع العثمانيون عن طريق هذا الجيش إن يحققوا الفتوحات الواسعة التي قاموا بها في القرن الرابع عشر الميلادي وفي القرون التي تلته، حيث اعتمدوا عليه في تلك الفتوحات، وفي الصمود أمام التحالفات الأوروبية التي واجهتهم، وخطت الدولة العثمانية أمجادها التاريخية وبذلك احتلت الانكشارية مركزاً متميزاً بين فرق الجيش العثماني . [3]

وانطلاقاً من كون الدولة العثمانية دولة إسلامية منذ نشأتها فقد ارتبطت بالطرق الصوفية [4]، اتبع هؤلاء الطريقة الصوفية البكتاشية[5] ، وحسب ما أوردته المصادر العثمانية فقد اصطحب أورخان مجموعة من

(7) الهاشمي ، عبد المنعم . الخلافة العثمانية ، دار ابن حزم ،بيروت ،ص27.

([2]) سرهنك ، إسماعيل .(1312هـ). حقائق الأخبار عن دول البحار ،المطبعة الأميرية ، مصر ، ج1، ص488.

([3]) بكر ، عبد الوهاب .(1982). الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن 18م ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1، ص57.

([4]) لقد كانت الدولة العثمانية من المهتمين بالطرق الصوفية ودعمتهم منذ البدايات لنشأتها لدرجة جعلت فرق في الجيش تابعة لهم وانتسب السلاطين أنفسهم للطرق الصوفية وانتشرت في البلقان مثل المولوية و النقشبندية و البكتاشية والرفاعية . المرسي ، أحمد . (1983). الدولة العثمانية والولايات العربية ، مجلة الدار ،ع4، ص72.

([5]) البكتاشية : كلمة مشتقة من بكتاش حيث جاء هذا الرجل من خراسان في بلاد فارس وعاش في منتصف القرن الرابع عشر ، وقد تسمى بذلك نسبة إلى بكتاش الوالي الذي يقولون أنه ولد بنيسابور فأبوه إبراهيم الثاني وكان والياً على أحد المقاطعات وأمه خاتمة ابنة محمد النيسابوري من علماء نيسابور ولد عام(646هـ/1248م)، وكان له كرامات . سرهنك،

هؤلاء الجند الجد إلى مسكن هذا الوالي وطلب منه أن يباركهم ويخلع عليه اسماً فوضع بكتاش يده على رأس أحد الجند في الصف الأول وقال للسلطان أورخان " إن القوات التي أنشأتها ستحمل اسم يني جري وستكون وجوههم بيضاء وضاءة وستكون أذرعهم اليمنى قوية وسيوفهم بتارة وسهامهم حادة وسيقفون في المعارك ولن يبرحوا ميدان القتال إلا وراية الظفر معقودة لهم" [1]

وتخليداً لبركة بكتاش وضع الإنكشارية على رؤوسهم قلنسوة من اللباد الأبض شبيهة بقلنسوة الدروش وتتدلى منها من الخلف قطعة من الصوف وهي رمز لكم الوالي الذي بارك رقبة زميلهم.[2]

2-الفرسان :

-السباهية :

هم الخيالة والفرسان في الجيش العثماني وتعد هذه الفرقة أقدم أنواع الجنود في الدولة العثمانية ، حيث كانت تعتمد عليها في الفتوحات الأولى لها فهي أكبر القوات العسكرية آنذاك، ويرجع الفصل في استخدام السباهية لأول مرة في الجيش العثماني إلى السلطان أورخان (724-763هـ/1324-1362م) الذي منح لهؤلاء الفرسان إقطاعات مقابل خدماتهم العسكرية . [3]

إسماعيل.(1988). تاريخ الدولة العثمانيَّة، دار الفكر الحديث، بيروت، ج2،ص679؛ النعيمي ، أحمد نوري .(2006). الدولة العثمانية واليهود ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ص209.

([1])المحامي .تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص42؛ بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ص125-126؛ لبيب ، حسين .(1921). تاريخ المسألة الشرقية ، مطبعة الهلال القاهرة ، ص11-12.

([2]) كوندوز ، عرفان .(1984). الدولة العثمانية والتصوف ، د. ن، استانبول ، ص133؛جودت ، تاريخ جودت ، ج1،ص39؛ البحراوي ،محمد عبد اللطيف . (1988).من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ، مجلة الدرة،ع4 ، ص51، أبو غنيمة ،زياد . جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، دار الفرقان ، استانبول ، 1986م، ص34، مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص43.

([3]) الحويري ، محمود محمد .(2000). تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ،،ص252.

-السلحدارية :

تتكون كلمة السلحدار من كلمتين سلاح كلمة عربية ودار كلمة فارسية والمعنى الإجمالي لها هي مسك السلاح وتعتبر هذه الفرقة بمثابة الجيش الثاني للفرسان، ويعود ظهورها إلى السلطان بايزيد الصاعقة(1389-1402م)، وتناط بهذه الفرقة مهمة حماية السلطان ومشاركته في محاربة الأعداء أثناء المعارك كما تتضمن هذه الفرقة الأغا حامل السلاح وهو الرجل الذي يحمل سلاح السلطان، ويقف بجانبه دوماً في المناسبات الرسمية والحروب ويتم تعيينه من رجال مدرسة القصر الأكثر خبرة والأقدم سناً ولكن السلاطين فضلوا تعيين من سيحمل سلاحهم بأنفسهم فحامل السلاح يمتلك سلطات عالية جداً ولا بد للسلطان أن يثق به ثقة عمياء [1]، كما كان من مهام هذه الفرقة أيضاً إعداد المائدة السلطانية أثناء نزهة الصيد، كما يقدم السلحدار للسلطان المراسلات القادمة له من وزراءه وتنقل أوامر السلطان بدورها إليهم عن طريقه، كما يترأس السلحدار جميع الخدم والحشم خارج القصر السلطاني. [2]

-قوات القابي قولي :

هي أكبر فرقة في الجيش العثماني وتعد الأقرب والأكثر اتصالاً بالسلطان وتضم الجنود العاديين والفرسان وهي من العناصر الأساسية للجيش العثماني التي تعمل في إطاره بشكل رسمي، وتتبع السلطان العثماني بشكل مباشر وقد كانوا يمتطون الخيل، ويتولون المهام التقنية والتكتيكية داخل الجيش ومن مهمهم الرئيسية رسم الخطط الحربية وحماية القصر وحدود الدولة وصنع البنادق والمدافع والسيوف،

([1])غربي. دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي ، ص31.

([2]) بركات ، مصطفى .(1987). الألقاب والوظائف العثمانية ، ترجمة : فاضل لقمان ، دار الجليل ، دمشق ،ص238.

وكانت تخضع هذه القوات لقوانين صارمة فقد منع أفرادها من التواصل مع أهلهم وذويهم ولا يكون لهم اتصال إلا مع السلطان. [1]

3- القوات المساعدة :

-فرقة المدفعية

هي إحدى الفرق العسكرية التي ظهرت خلال القرن السادس عشر الميلادي وقد تطورت بصورة متسارعة نتيجة لتطور دار البارود طوبخانة ، والتي يعود زمن إنشائها إلى عهد السلطان محمد الفاتح بعد اتخاذ استانبول عاصمة له وكان لهذه الفرقة أثر كبير في ميادين القتال، وقد مكنت العثمانيين من تحقيق جملة من الانتصارات وبلغ الاهتمام بهذه الفرقة ذروته في عهد السلطان سليمان القانوني، حيث تزايد عدد أفرادها بشكل كبير جداً [2] هذا ويمكن تقسيم هذه الفرقة إلى قسمين رئيسيين هما كالتالي:

1-الجبه جي : والتي تعني لابس الدرع وصانع السلاح ومصلحه وقد كلف هذا الجيش بمهمة حراسة ونقل المعدات العسكرية إلى الصفوف الأولى في ميادين الحرب، ولم يكن له استقرار إلا مع وصول السلطان محمد الفاتح للحكم 1451م فقد بلغ عدد هذه القوات 700 رجل ومن ثم وصل في عهد السلطان مراد الثالث إلى 7500وقد وزعت في عدة مناطق وكانوا يحملون اسم العزاب في مصر ويعرف قائدهم بالجبه جي باشي [3]

(1) الشناوي . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،ج1،ص482.

(2) بن حادة ، عبد الرحيم .(2008). العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة ، اتصالات سيبو للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ،ص127.

(3) دوسون ، مرادجه .(1942). نظام الحكم والإدارة في الدولة العثمانيَّة في عهد مرادجه دوسون، الجامعة الأميركية في بيروت، لبنان، ،ص162.

2-الطوبجية :وتعني المدفعي وجمعها الطوبجية أي المدفعية وأطلق عليهم اسم الزراقين والزراقة بعد اتقانهم الرمي بالمدافع من علم الزراقة أي رمي القوارير من النفط [1] .

وتشير المعطيات التاريخية إلى أن توزيع هذه القوات (مثل الجبة جي و الطوبجية)لم يكن ثابتا أو شاملا لكل أقاليم الدولة بالقدر نفسه، بل خضع لاعتبارات جغرافية وعسكرية أملتها طبيعة الثغور الجبهوية . و بالمثل ،فإن القول " بضرورة " إنشاء أسطول قوي لمجاراة الإمارات المجاورة يحتاج إلى موازنة تاريخية ،إذ تظهر دفاتر التمليك و سجلات الأرشيف العثماني (الأمور دفتري) أن التطور البحري العثماني في بحر إيجة و مرمرة كان تطورا تدريجيا بطيئا ارتبط بمدى توفر الخبرات المحلية(التركمانية واليونانية المسلمة)، ولم يكن قفزة فورية أو نتاج قرار مركزي مطلق . فالوثائق تشير أن السيادة البحرية الكاملة لم تتحقق إلا بعد عقود من الاستعانة ببحارة إمارات الأناضول الساحلية السابقة وتطوير ترسانة "قره مرسل" ضمن سياق اقتصادي وعسكري محدد.

3-البحرية العثمانية :

يعود تاريخ البحرية العثمانية إلى استيطان الأتراك في شبه جزيرة الأناضول فقد كانوا يشعرون بنقص في قواتهم البحرية والتي شكلت عقبة في نشاطهم وفتوحاتهم خلال تلك الفترة مقترنة مع الجنويين والبنادقة والجدير بالذكر أن أول المعارك البحرية للعثمانيين كانت زمن السلطان يلدريم بايزيد مع الجنويين أما مع البنادقة فكانت في عهد السلطان محمد جلبي والتي تلقى فيها العثمانيون شر هزيمة وتوفي قائد البحرية جال بك . [2]

([1]) باشا ، أحمد تيمور .(2012). رسالة لغوية عن الرتب والألقاب المصرية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ،ص25.

[2] (Ozen tok.(2012).osmanli teskilati.tufan gunduz.grafiker yay.ankara.p191

أمام تنامي تلك الأخطار المحيطة بالعثمانيين رأوا أنه من الضروري العمل على إنشاء أسطول قوي يستطيعون من خلاله التصدي للهجمات المعادية والاستمرار في نشاطهم الجهادي فضاعفوا مجهوداتهم في صناعة السفن حتى تمكنوا من مجاراة الإمارات المجاورة لسواحل بحر إيجة وبحر مرمرة وكانت ول ترسانة لهم في قره مرسل[1] بعد ضم منطقة قره سي [2] فاستفادوا من خبرات سكانها في هذا الميدان ومع وصول العثمانيين إلى غاليبلولي [3] قاموا بتكوين مجموعة من الشبان لصناعة السفن وتحولت إلى قاعدة بحرية كبيرة لصناعة السفن وتدريب البحارة وتخرج منها أشهر البحارة مثل كمال ريس [4] وبيري ريس[5] وعروج ريس [6] وخير الدين بربروس [7] وكانت غاليبلولي نقطة انطلاق للعثمانيين نحو بلاد البلقان ومن خلال هذا العرض في تطور البحرية العثمانية يمكن ملاحظة الاهتمام الكبير من قبل

---

[1] قره مرسل: بلدة ساحلية على خليج إزميت ،فتحت بقيادة البحار الشجاع "مرسل آلب"فسميت باسمه (قره مرسل).للمزيد انظر علي محمد الصلابي ،تاريخ الدولة العثمانية ،ص48-51.

[2] قره سي: إمارة بحرية تركمانية سابقة بالأناضول ، تملك اسطولا بحريا قويا و خبرة بالملاحة في بحر مرمرة . طقوش ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ص32.

[3] غاليبلولي: شبه جزيرة و مدينة استراتيجية تطل على مضيق الدردنيل و بحر إيجة و مرمرة. دوسون ، نظام الحكم و الإدارة في الدولة العثمانية، ص166.

[4] كمال ريس :أمير بحار وقائد عسكري عثماني فذ(1451م-1511م)ولد في غاليبلولي. الصلابي ،الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص122.

[5] بيري ريس: أمير بحار و رسام خرائط ،وجغرافي عثماني شهير (1465م-1553م)وهو ابن أخ القائد كمال ريس .طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ص112.

[6] عروج ريس :قائد بحري ومجاهد عثماني شهير، يعرف في المصادر الغربية بلقب "بابا عروج"(طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ص142.

[7] خير الدين بربروس: القائد العام للبحرية العثمانية (قبطان باشا)وشقيق عروج ريس الأصغر، واسمه الحقيقي"خضر بن يعقوب". طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ص145.

السلاطين الأوائل بالقوات البحرية واعتبارها قوة استراتيجية مساندة للقوات البرية وبالتنسيق بين الطرفين مكنوا من فتح القسطنطينية . [1]

ومع تحول الدولة العثمانية إلى العالمية زاد اهتمام السلطان محمد الفاتح بالقوات البحرية وتم من خلال فتح جزيرة إمروز [2] وليمني[3] و تاشوز [4] كما حققت هذا الأسطول انتصارات عديدة ضد البنادقة وتكلل أعماله بإنشاء دار صناعة للسفن في استانبول. [5]

ومع وصول السلطان بايزيد الثاني للحكم(1451م) زاد من اهتمامه في هذا الميدان وأمر بإنشاء السفن الحربية الكبيرة وألحق بخدمة الأسطول العثماني كبار البحارة الأتراك [6] كذلك في عهد السلطان سليم الأول تم توسيع ترسانة القرن الذهبي التي قد وجدت في عهد السلطان محمد الفاتح كما تم إنشاء سفن جديدة من أجل توسيع القوات البحرية غير أنه ما أوشك أن يستفيد منها حتى وافته المنية [7]، وبلغت البحرية العثمانية ذروة النمو والتطور خلال عهد السلطان سليمان القانوني وأصبح المتحكم في السيطرة على البحر الأبيض المتوسط . [8]

ثانياً: دور المؤسسة العسكرية إدارياً –اقتصادياً –اجتماعياً:

---

[1] أوزتونا . تاريخ الدولة العثمانية ،ج1،ص29.

(1) إمروز: تقع قبالة سواحل تراقيا وعرفت في المصادر العثمانية باسم إمروز فتحها العثمانيون سنة (1455م) في عهد السلطان محمد الفاتح . أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج1، ص440

(2) ليمني: جزيرة يونانية تقع في شمال بحر إيجة تمت السيطرة عليها سنة 1456 في عهد السلطان محمد الفاتح. Enclopaedia of islam.second edition.vol5.1986.p763

(3) تاشوز: جزيرة تقع جنوب البحر الأحمر .أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ،ج1،ص320

(4) Ozen tok.(2012).osmanli teskilati.tufan gunduz.grafiker yay.ankara.p191

(5) أوزتونا ، يلماز .(2010). مذكرات خير الدين بربروس ، ترجمة : محمد دراج ، أصالة للنشر والتوزيع ،الجزائر، ،ص29.

(6) أوغلو . الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،ج1،ص42.

(7) Ozen tok.osmanli teskilati.tufan gunduz.grafiker.p191

-إدارياً:

لقد لعبت المؤسسة العسكرية دوراً هاماً في المجتمع مما كان له انعكاساً على علاقتها مع الأهالي وقد تمثل ذلك من خلال الإسهامات التي ساهموا بها خلال تقلدهم مناصب في الإدارة من حيث حسن التسيير وتطبيق القانون بالإضافة إلى إقرار السلام للأهالي وعلى هذا الأساس

ففي عهد السلطان مراد الثاني (824-848هـ/1421-1444م) تقلد المناصب العليا في الدولة العثمانية مجموعة من الرجال الذين كانوا قد وصلوا إلى القصر عن طريق النظام العسكري المعروف باسم الدفشرمة، وقد أصبح لتلك الشخصيات أثرها البارز في توجيه الدولة داخلياً، واستمروا في التغلغل وارتفاع المكانة لا سيما مع وصول السلطان محمد الفاتح إلى السلطة الذي قام بتنحية الأسرات التركية لاسيما أسرة جاندرلي الذي بلغت من النفوذ ما أثار مخاوفه فأصبح يعتمد على هذا الصنف من الموظفين في تسيير الشؤون المختلفة ومن أبرز المناصب التي شغلوها (الصدر الأعظم) وقيادة الجيش . [1]

-الصدر الأعظم :

يحتل مركز الصدر الأعظم وفقاً للتقنينات المنظمة لهيكلية إدارة السلطة الموقع الثاني بعد السلطان هذه الوضعية يؤكدها قانون السلطان محمد الفاتح ، حيث يشير إلى الصدر الأعظم باعتباره صاحب الصلاحيات المطلقة في إدارة شؤون الدولة . [2]

(8)Op.cit.p192

([2])الشناوي . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ص358؛ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ،ج3،ص14.

يعود ظهور هذا المركز إلى بداية قيام الدولة ، وبالتالي كان يشكل إحدى أهم ركائز بنية السلطة إلا أن المكانة التي احتلها هذا المركز ضمن متواليات السلطة تعرضت كغيرها من المراكز إلى جملة من التحولات الهامة وإن اتخذت أشكالاً مخصوصة، حيث تميز حراكها عن باقي المراكز. [1]

كان يشغل منصب الوزير الأعظم حتى فتح القسطنطينية[2] مسلمون أحرار، فكانت الدولة تعتمد على الأرستقراطية الإسلاميَّة في آسيا الصغرى وخصوصاً في بداية نشوء الدولة ، حيث تم الاعتماد على أسرة جندرلي التي احتفظت بمنصب الوزارة ضمن أسرتها خلال القرن الرابع عشر ولغاية منتصف القرن الخامس عشر الميلادي [3]، ثم رأى السلطان محمد الفاتح(848-849هـ/1444-1446م) [4] أن التعيين في هذا المنصب يجب أن يقتصر على العبيد بعد أن خشي من النفوذ الكبير الذي بلغته أسرة جندرلي، حيث ضمن ولاءهم للسلطان ، فلا يشعر بالمنافسة أبداً إذ تربى هؤلاء العبيد على الولاء التام للسلطان ، وأصبح تعيين الصدور العظام من العبيد بمنزلة التقليد الذي اتبعه بقية السلاطين[5]، نتيجة

([1])الضيقة ، حسن .(1997). الدولة العثمانية الثقافة – المجتمع والسلطة ،دار المنتخب العربي ، بيروت ، ص87-88.

([2]) القسطنطينية : عاصمة الإمبراطورية البيزنطية التي أسسها الإمبراطور قسطنطين الأول عام 330 م كذلك عرفت باسم الإمبراطوريَّة الرومانية الشرقية عاشت حوالي إحدى عشر قرناً ونصف ، ثم سقطت على يد محمد الثاني. شينية ، كلود.(2008). تاريخ بيزنطة، تر: جورج زيتاني، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، لبنان، ص8.

([3]) بروي، إدوارد.(1986). تاريخ الحضارات العام ، تر: يوسف داغر ، ،دار عويدات ،بيروت ، ج3، ص583.

([4]) السلطان محمد الفاتح(848-849هـ/1444-1446م):سابع سلاطين الدولة العثمانيَّة ارتقى العرش لأول مرة في حياة والده وسنه لم يتجاوز الاثني عشر عاماً إلا أنه أقيل من منصبه بعد فترة وجيزة، وبعد اعتلائه العرش للمرة الثانية اتبع سياسة الحزم لتجنب أي اضطرابات داخليّة ، أو خارجيّة وتساوت عبقريته الحربيَّة مع أعماله الإداريّة فنظم أمور الدولة ، ووضع لها دستوراً سمي قانون نامه اشتهر في التاريخ بلقب محمد الفاتح وأبي الخيرات لفتحه القسطنطينية توفي مسموماً وهو في طريقه لفتح إيطاليا عام (1481م) . محمد، عبد الفتاح.(2015). السلطان محمد الثاني (الفاتح) فتح للقسطنطينية وسياسته الداخلية ،ع26، ليبيا،ص1-7.

([5]) طقوش. تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص564.

لذلك فقد تميز الصدور العظام بالتَّنوع العرقي طبعاً، حيث أن معظمهم كانوا من أبناء النصارى في الدول المفتوحة، فكان معظم الصدور العظام من أصول غير تركية. [1]

ومن أبرز الصدور العظام في الدولة العثمانية :

-الصدر الأعظم إبراهيم باشا

كانت ولادته لإحدى الأسر المسيحية في منطقة بارغا سنة(898هـ/1493م)، وكان أحد الذين انتظموا في الدفشرمة، وقد برزت شخصيته بقوة ودهاء وذكاء فتولى في عهد السلطان سليمان عدة مناصب، وترقى في السلم الإداري وصولاً إلى تولي منصب الصدر الأعظم سنة(929هـ/1523م). [2]

كان لإبراهيم باشا أيضاً مجموعة من الأعمال العسكرية والإدارية ولا سيما التكليف بحملة إلى مصر وتفقد أحوالها ، والتي مكث فيها ثلاثة أشهر، وتفقد الأمور وحال العامة وعمل على تحسينها وحد من جور وتعسف الولاة وضرائبهم الباهظة. [3]

كان من المصلحين أيضاً فقد وضع قوانين جديدة تتناسب مع أوضاع الأهالي وعمل على عزل الكثير من المسؤولين الذي ارتكبوا أخطاء جسيمة، وأجرى تعديلات على بعض القوانين العدلية والقضائية

(1) إيفا نوف، نيقولاي.(1988). الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574م)، تر: يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ص267.

(2)الهياجنة ، إيمان عبد الرحمن .(2015). الصدر الأعظم إبراهيم باشا دراسة في دوره السياسي (898-942هـ/1492-1535م)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الأردن ، مجلد42 ، العدد2، ص477-478.

(2)بيات ، فاضل . (2007).الدولة العثمانية في المجال العربي -دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية مطلع العهد العثماني -أواسط القرن 19م، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،ص408.

والعسكرية والدينية كترميم المساجد وخير شاهد على ذلك مسجد عمر بن العاص من أمواله الخاصة وأنشأ قاعدة عسكرية على البحر الأحمر. [1]

شغل إبراهيم هذا المنصب عدة سنوات محفوفاً بثقة كبيرة من قبل السلطان حتى أنه صاهره لكن ظهرت بعض المشاكل العائلية التي أفسدت العلاقات وأطاحت بالمكانة التي شغلها الصدر الأعظم، و أكيلت بحقه مجموعة من التهم كان منها الطمع في العرش بدون وجود أي دليل على ذلك. [2]

بعد وفاة السلطانة الأم حفصة والتي كانت على علاقة جيدة مع الصدر الأعظم إبراهيم باشا وكانت تقف إلى جانبه لم تستمر مكانته على ما هي عليه فقد دخل في صراع مع خرم سلطان (روكسلانة) زوجة السلطان سليمان القانوني، والذي كانت ترى فيه وبقوة مكانته حاجزاً يعيق رغباتها وتطلعاتها وتم اغتياله في القصر سنة(1536م) في ظروف غامضة لم تتحدث عنها المصادر العثمانية ودفن هناك سراً. [3]

-أسرة آل كوبرلي (1661-1687م):

كان أول من تسلم منصب الصدارة من تلك العائلة هو محمد باشا الكوبرلي وكانت تلك العائلة ألبانيّة هاجرت إلى آسيا الصغرى، واستقرت في مدينة كوبرو ،ونشأ، وترعرع فيها ،ولها ينسب. [4]

([1]) مرجع نفسه ، ص408.

([2]) بروكلمان . تاريخ الشعوب الإسلامية ،ص474.

([3]) إينالجيك، خليل.(2007). التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانيَّة،، دار المدار الإسلامي ، ليبيا ، ص152.

([4]) بروكلمان . تاريخ الشعوب الإسلامية،،ص516.

لم يكن وصول محمد باشا الكوبرلي لمنصب الصدر الأعظم في الدولة العثمانية قد جاء بصورة مباشرة ومن دون دراسة لشخصيته، وكفائته من قبل السلطانة تارخان بل مر بعدة مراحل حيث أنه تدرج في العديد من المناصب قبل وصوله إلى منصب الوزير، فقد كان طباخاً في السراي السلطاني في البداية ومن ثم والياً على الشام وطرابلس[1]، ثم انضم للسلك العسكري ومن ثم منصب الخازن دار [2]، تم تعيينه فيما بعد في الديوان السلطاني في وظيفة (وزير تحت القبة) [3]، والجدير بالذكر أن محمد باشا كوبرلي قبل تسلمه منصب الصدارة العظمى رجلاً معروفاً في الأوساط السياسيَّة العثمانيَّة، إلا أنه تم ترشيحه نظراً لكبر سنه ، فقد كان يملك الخبرة الكافيَّة التي تؤهله لمعرفة مواطن الضعف في الدولة ، وبالتالي القضاء عليها ،وتهدئة الاضطرابات والفتن. [4]

كان فاتحة بداية صدارة محمد باشا البطش والتخلص من المفسدين وإجراء العديد من التغييرات الوظيفية للمتقاعسين عن أداء واجباتهم بالشكل الأمثل حتى أن شيخ الإسلام لم يكن بمعزل عن تلك الإجراءات [5]، كما أن تلك الرقابة الوظيفية اتبعها داخل القصر أيضاً واستبدل من ليسوا أهلاً لتلك المناصب ولاسيما رئيس الخصيان في تلك الفترة[6]

([1]) مراد، جمال. (2017).تاريخ العراق في العهد العثماني الثاني(1638–1750م) ، در الرافدين، العراق ، ط2، ص90.

([2]) الخازن دار: هو الأمين على الأموال الخاصة .السبكي ، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ)، معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، 1986م، ص27.

([3]) وزير تحت القبة: هو الوزير الذي يساعد الصدر الأعظم في أعماله ويسمى كذلك لأنه كان يجلس مع الصدر الأعظم تحت سقف واحد (الديوان السلطاني) . بروكلمان . تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص94.

([4]) أوزتونا ، يلماز.(1988). تاريخ الدول العثمانيَّة، مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا، ج1، ص501.

([5]) الثقفي ، يوسف، لمعان الضوء في دياجير الظلام ، مجلة المؤرخ العربي، مصر، المجلد1، العدد 1، ص235.

([6]) itzkowitzK, norman,(1972). Othman empire and Islamic tradition ,the university of Chicago press,London, .p77.

، وأمام التخلص من عناصر الجيش الفاسدين فتح باب التجنيد لعناصر جديدة تم جلبهم من مناطق البلقان[1]المختلفة. [2]

على المستوى الاقتصادي للدولة فقد عمل على إزالة النفقات التي كان يراها غير ضرورية وتشكل عبئاً عليها ولاسيما تلك المتعلقة بمظاهر الترف ، والكماليات وكان أهم إجراء في هذه الناحية مصادر العديد من التيمارات وتوزيعها عل الأفراد، وبالتالي تم توفر حاصلات للخزينة العامة للدولة من خلال عائدات هذه التيمارات[3]، ولم تكن الإجراءات المالية للصدر الأعظم محمد باشا الكوبرلي مقتصرة على عامة الشعب، بل وصلت إلى المساس بخزينة السلطان والاقتراض منها عند الحاجة. [4]

لم يقتصر الدور الذي قام به الصدر الأعظم محمد باشا كوبرلي على تلك النواحي بل ظهرت لديه اهتمامات عمرانية كبيرة[5]، ولاسيما ما تم في عهده من بإعادة بناء لاستراحة القوافل، والتي كانت تحمل

([1]) البلقان: شبه جزيرة تقع جنوب شرقي أوربا بين البحر الأسود في الشرق والبوسفور والدردنيل وبحر مرمره في الجنوب وبحر أيونيا والبحر الأدرياتيكي غرباً ، ونهر الساف والدانوب شمالاً وبذلك يدخل فيها ألبانيا صلب بلاد اليونان وجنوبي رومانيا وبلغاريا وتركيا الأوربية . بوجلطي، فاطمة .(2010). انعكاسات الإمتيازات الأجنبيّة على بلاد الشام خلال القرن التاسع عشر رسالة ماجستير منشورة، جامعة الجزائر ، الجزائر ، ص86.

([2]) الرفيعي، عبد الأمير.(2012). العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، الفرات للطباعة والنشر ، العراق،ج1، ص216.

([3]) مانتران ، روبير . (1993). تاريخ الدولة العثمانية ، تر: بشير السباعي ،ج1، دار الفكر ، القاهرة ، ص150-151.

([4])علاوي، نسيبة .(207). دور آل كوبرلي في إصلاح أوضاع الدولة العثمانيَّة (1656-1702م)، مجلة أبحاث التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، المجلد 6، العدد2، ص250.

([5]) يروي الرحالة الإنكليزي ويلر الذي زار تركيا بعد سنوات قليلة من وفاة محمد كوبرلي أسطورة سمعها عنه مما يثبت شدة صرامة محمد باشا كوبرلي والانطباع الذي تركه على العقل الجمعي فيقول ويلر في وصف أحد شوارع القسطنطينية " يزين هذا الشارع مجموع من الأبنية التي تعود إلى الوزراء والباشوات الذين يتمتعون بالميزات الرفيعة للإمبراطور سواء في الحرب أو الحكم لاحظنا واحداً منها مغطاة بقبة لا يحجبه سوى سياج كبير ، وجدنا عليه ذلك النص :"هذا نصب

اسم (خان الحجر) أو (حكيم خان) وهي تقع على طريق سيواس ملاطيه وهي منطقة في شمال تركيا حالياً، وهذا الخان عبارة عن قاعة مسقوفة بها ثلاثة صحون مساحة مربعة كبيرة يوجد فيها نقش مميز بثلاث لغات :العربية والسريانية والأرمينية ويذكر النقش "أن باني الخان هو ابن سالم بن أبي الحسن النحاس من ملاطيه" وبجانب النقش الأول نقش عثماني كتب عليه أن محمد كوبرلي قد أعاد بناء هذا الخان عن طريق المهندس حسن آغا عام (1660م)، ومعظم الإصلاحات التي قام بها هذا المهندس تركزت في الساحة الخارجية. [1]،كما أقدم محمد باشا كوبرلي على إصدار أوامره ببناء العديد في مختلف مناطق الثغور و أنشأ تكية (المولى أنسى) وكذلك تربة لدفن الموتى والتي دفن فيها في نهاية المطاف [2] .

2-آغا الانكشارية :

هو القائد الأعلى للجيش باعتباره أعلى ضباط هذا الجيش رتبة وهو شخصية بالغة الأهمية فمن ناحية كانت قواته أقوى اداة عسكرية تحت تصرف السلطان ثم من ناحية أخرى كان بعمل مديراً للبوليس في

محمد كوبرلي والد الوزير الحالي الذي وطد الحكم بعد اقترابه من الخراب " عندما كان السلطان في سن القصور وذلك بسبب استياء فصيل من (الهجاي) الأساسيين وتمرد الإنكشارية وبعد وفاته ودفنه هنا وتشييد هذا النصب التذكاري من الرخام المغطى بالرصاص فوق جثمانه رأى السيد الكبير والوزير الأعظم رؤيا في الليلة نفسها ومن الطرافة أن كوبرلي جاء إليهما سائلاً بعض الماء للترويح عنه من حرارة الاحتراق وهو ما أخبر به الوزير الأعظم والسيد الكبير بعضهما ومن ثم اعتقد أنه يجب استشارة المفتي فيما يجب القيام به حيال ذلك فنصح وفقاً لمعتقداتهم بأنه يجب كشف سقف الضريح بحيث ينزل المطر على جسده فتخمد النيران التي تعذب روحه وقد اعتقد الناس الذين اعنوا من ظلمه أنه من أكثر الأشخاص حاجة إلى مذل ذلك الدواء على اعتبار أنه يتعذب في العالم الآخر لطغيانه وقسوته التي ارتكبها ".

Whelar . whelar travels.p133

([1]) Aslanaba , oktay, Turkish art and architecute,new York,prager publishers,1971,p149.

([2]) المحبي، محمد بن فضل الله (1111هـ/1699م).(1971). خلاصة الأثر في أعيان القرن الأحادي عشر، دار الكتب العلمية، بيروت،،ج4 ، ص311.

استانبول ذاتها وكان بحكم منصبه هذا عضواً بديوان السلطنة وله في هذا المجلس مقام الصدارة على جميع أعضائه ممن لم ينالوا مرتبة الوزارة بعد. [1]

3-محافظي الديوان :

عملت فرقة الانكشارية في هذه الوظيفة أواخر القرن السابع عشر الميلادي ، وقد كانت تجتمع مجموعة منهم كل يوم مرتين، أو أربع مرات في الديوان في الصباح الباكر كمحافظين، كما عملت هذه الفرقة كمطافئ أوقات السلم عند وقوع الحرائق في استانبول وكانوا يرافقون الطولومباجية في عملية الإطفاء . [2]

اجتماعياً :

لم يقتصر دور المؤسسة العسكرية العثمانية على النواحي العسكرية أو الإدارية، بل تعدتها إلى المجتمع الذي ذاب أفرادها فيه فتركوا بصمتهم فيه فكان لهم اسهاماتهم المدنية المختلفة ،إضافة للدور المجتمعي للمؤسسة العسكرية العثمانية ،فالأدلة المستمدة من سجلات المحاكم الشرعية ودفاتر الطابو تكشف عن مساحة من التمايز والتوازن بين النفوذ العسكري و النخب المدنية المحلية (كالحرفيين ، والتجار ، و العلماء).ومن الأمثلة على الدور الاجتماعي للمؤسسة العسكرية:

1-البناء والعمران

فقد اشتهرت الدولة العثمانية بعمرانها وأبنيتها الفخمة والتي تعود إلى أفكار وضلوع مجموعة من المهندسين والمعماريين المهرة ومن الذين برزوا في هذا الميدان وكانوا من نتاج الدفشرمة سنان باشا

([1]) غب، هاملتون.(2012). المجتمع الإسلامي و الغرب، تر: احمد أبيش، دار الكتاب الوطنية ، أبو ظبي ، ج1، ص109

([2]) البنا ، فرقة الانكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية ،ص115.

وهو مهندس معماري كانت ولادته سنة (894هـ/1489م) بالقرب من قيصرية ويعود إلى أسرة مسيحية جند سنان في صفوف الدفشرمة سنة(918هـ/1512م)، وكان له مشاركة كبيرة في العديد من الحملات العسكرية لا سيما حملة بلغراد سنة(927هـ/1521م)، ومن الأعمال المهمة التي تنسب له أيضاً بناء جسر فوق نهر السيروت ونهر الدانوب ونال شهرة وصيت في التاريخ العثماني لا سيما بعد أن اتجه نحو بناء المساجد والأضرحة والحمامات والمطابخ . [1]

وكان من أشهر أعمال سنان باشا أيضاً مسجد السليمانية والذي اعتبر مرجعاً للعماريين الآخرين في بناء المساجد مقلدة للهندسة الرائعة الموجود فيه، وكان من أهم المساجد في العاصمة وتم بناؤه سنة(969هـ-964هـ/1552-1557م) أظهر فيه سنان براعته وعلمه ودقة هندسته. [2]

وتثبت هذه المعطيات أن العطاء الاجتماعي و العمراني المتمثل في فرقة الانكشارية ونتاج الدفشرمة كالمعماري سنان باشا ،يعكس الوجه الإيجابي للمؤسسة العسكرية العثمانية في توظيف (الهندسة العسكرية) وعناصر الجيش الحربية لخدمة المنظومة المدنية و المجتمعية .فالخبرات التي كسبها العسكر في تحصين الثغور وبناء الجسور الحربية أثناء الحملات تم نقلها وتطبيقها إداريا و عمرانيا داخل المدن في أوقات السلم.

2-الصناعة

لقد تعززت الطوائف بالإدارة من خلال اندماج الانكشارية و الأوجاقات المحلية بالطوائف الحرفية في استانبول وأخذت الأوجاقات الأخرى مثل القاهرة وحلب ودمشق وحتى بغداد هي الأخرى بدأت تتغلغل

(1)مانتران . تاريخ الدولة العثمانية ،ص381.
(2) مصدر نفسه . ص384-385.

تدريجياً في الحرف كما ارتكزت الصناعة في الأراضي العثمانية على أساس اقتصادي، بالإضافة إلى الأقمشة القطنية والصوفية والحريرية . [1]

3-الوقف :

كان للانكشاريين دوراً فعالاً في الوقف حيث كانت لهم إسهامات معتبرة من حيث الأملاك التي أوقفوها في مختلف المؤسسات الدينية والمشاريع الخيرية وقد أنشأوا مؤسسة أوقاف سبل الخيرات وكثيراً ما كان الجيش يحبس على الأوجاق أو الأودة التي كان يسكنها. [2]

ويوجد في الوقف أراضي الرزق بنوعيها الأحباسية و الجيشية العسكرية، حيث الأراضي الأحباسية هي أراضي ديوانية أوقفها أصحابها على الأعمال الخيرية مثل الإنفاق على الحرمين الشريفين والمساجد وكانت هذه الأخيرة معفاة من الضرائب أما الأراضي الجيشية تخرج من ديوان الجيش، وهي عبارة عن الأطياف التي كان يمنحها السلاطين لأحد الأمراء كمكافئة على خدمته للحكومة، وكان صاحبها ينتفع بها طوال حياته ويورثها لذريته من بعده كما كان له حق التصرف في البيع والشراء [3]

اقتصادياً :

كانت الدولة العثمانية تعتمد في إنعاش اقتصادها على العديد من الطرق للحفاظ عليها كما أن الاقتصاد يشكل أساس أي دولة فمن خلاله تتم عملية تمويل الخزينة وتحريك القطاعات المختلفة وبالتالي كان هناك عدة مصادر رفدت من خلالها الدولة العثمانية اقتصادها على النحو التالي :

([1]) غب . المجتمع الإسلامي والغرب ،ص215.

([2]) غطاس ،عائشة .(1954).الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، المركز الوطني للدراسات والبحث ،الجزائر ، ص88.

([3]) الجنابي ، بثينة عباس ،(2011). نظم الحكم والإدارة العثمانية في الوطن العربي ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العراق ، العدد71، ص500.

افتداء الأسرى وتجارة الأرقاء

حصلت الدولة العثمانية على الكثير من الأسرى في الحروب التي خاضتها مع أوروبا حيث كانوا يتحولون إلى عبيد مجرد وقوعهم في الأسر كما كان يتم تبادل عملية هؤلاء الرقيق من خلال البيع والشراء في الأسواق سواء في العاصمة أو في غيرها من المدن التابعة للدولة العثمانية ولم يقتصر الحصول عليهم على تلك الناحية بل كان يتم عن طريق الهدايا فيقدمون للسلاطين في كثير من الأوقات وبالتالي كان للجيش فضل كبير في هذه العمليات كما كانت عمليات الافتداء تقدر حسب قيمة الشخص وكلما كانت شخصيته مرموقة في المجتمع زاد ثمناً لافتداء مما وفر أرباح نقدية كبيرة عادة على خزينة الدولة. [1]

أما بالنسبة للأرقاء فقد كان يتم بيعهم وشرائهم كما تباع الأمتعة فقد كان الجنود قد ساقوهم من شواطئ المتوسط والمناطق الغربية للمحيط الأطلسي كروسيا وألمانيا والجزر البريطانية حيث كانت تتم عملية أسرهم عند مرورهم عرض البحار أو أثناء الغارات العمانية على تلك المناطق ومن جملتهم كان كبار الضباط والنبلاء الأوربيين والذين كان يتم افتدائهم بمبالغ ضخمة أيضاً وكل هذا انعكس إيجاباً على اقتصاد العثمانيين. [2]

-عملية جباية الضرائب :

خلال القرن السابع عشر الميلادي كانت تتم جباية الضرائب نقداً وتسلم للحكومة المركزية ويقوم بها جيش الدولة ولم يكتفي الفوائد التي حققوها من خلال سيطرتهم على العديد من المناطق الشاسعة بل

(1) الشناوي . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،ص119

(2) ولف ، ب. (1986). الجزائر وأوروبا من 1500-1830م ، ترجمة : أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،ص208.

عمدوا إلى فرض ضرائب على الأهالي[1] ومن أشهر تلك الضرائب ضريبة الجزية التي كان يدفعها غير المسلمين حيث كان يقوم عبيد السلطان والقوات العسكرية بجبايتها مباشرة لا سيما السباهية الذين طالبوا بالإبقاء على هذه الوظيفة فقد كانوا يتلقون رسوم من دافعي الضرائب . [2]

كما كان إلى جانب تلك الضرائب ما عرف باسم ضريبة العوارض وهي عبارة عن ضريبة سنوية فرضت خلال النصف الأول من القرن السابع عشر وتدفع على حسب حالة دافعي الضرائب ومقدرتهم على الدفع ويسجلون رسمياً على حسب حالتهم سواء أثرياء أو ميسوري الحال أم فقراء ويجمع دافعي الضرائب في وحدات تسمى عوارض خانة وكان على كل واحد دفع مبلغ متساوي من المال. [3]

-أهمية الإقطاع :

يعد قيام النظام الإقطاعي في الدولة العثمانية على أساس الأرض مقابل الخدمة العسكرية في ظل وجود السباهية بحيث أنه ساهم في البنيان الاقتصادي للدولة وكانت أراضي الميري هي التي تمنح لهم كإقطاعات مقابل الخدمة العسكرية ثم سرعان ما غير عملها إلى جمع الضرائب بأكبر عدد ممكن . [4]

رابعاً: فساد المؤسسة العسكرية وانعكاساتها السلبية :

([1]) هارشلاغ ، زيف يهودا .(1973). مدخل إلى الاقتصاد الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة : مصطفى الحسيني ، دار الحقيقية ،بيروت ،ص18.

([2]) إينالجيك ، خليل .(د.ت). التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، ترجمة : عبد اللطيف الحارس ، دار المدار الإسلامي ،بيروت ، ص126.

([3]) طالب ، فاطمة .(2016). الوضع الاقتصادي في الدولة العثمانية من خلال كتاب مدخل إلى التاريخ الحديث للشرق الأوسط زيف يهودا هارشلاغ ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ،ص15.

([4]) مصدر نفسه ، ،ص15.

لقد أسست الدولة العثمانية جيشها على قاعدة ونظم سليمة صارمة غير أن هذا النظام لم يستمر سوى قرابة قرن بعد سقوط القسطنطينية حيث بدأ في التدهور، وتجسد ذلك في فرقة الانكشارية بصورة خاصة [1] ويمكن إجمال عوامل الفساد على النحو التالي :

-الأسباب السياسية :

من أول الأسباب التي جعلت الانكشارية تتمرد على السلطة هو عدم خروج الانكشارية للحرب إلا إذا كان السلطان حاضراً، فقد كانت جل معاركهم الأولى بقيادة السلطان، لكن سرعان ما غير السلطان سليمان القانوني(926-973هـ/1520-1566م)، هذا العرف وأجاز لهم القتال تحت قيادة قائدهم الأكبر حتى وإن لم يكن السلطان حاضراً . [2]

لم يكن هذا الأمر الوحيد في الشق السياسي لتمردات الانكشارية بل كان هناك سبب أخطر ألا وهو عدم وجود قاعدة ثابتة لتولية السلاطين على العرش ولم يكن هناك أي نص شرعي أو قانون يتم الاعتماد عليه في هذه المسألة فقد كان السلاطين يعملون بمبدأ الاستخلاف، وليس الشورى وعليه فيمكن أن تأتي هذه الخلافة في الأخوة، أو الأبناء مما أفضى إلى بروز جملة من الصراعات الداخلية بين أبناء السلاطين فشكلت جواً لتدخل الانكشارية في هذه المسألة. [3]

على نحو متصل فقد استمر تراجع دور الانكشارية الإيجابي وزادت حدة تدخلاتهم السلبية خلال القرن السابع عشر الميلادي وأصبح لهم نفوذ سياسي صريح، فتحولوا من حماة للسلاطين إلى أداة ترهيب ضدهم، ولم يكتفوا بمسألة النزاع على العرش بل كانوا يتدخلون في التعيينات داخل الدولة لا سيما

(1) حلاق ، حسان .(2000). تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر ، د=ار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،ص21.

(2) المحامي . تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص252.

(3) الغازي . دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العمانية ،ص155.

منصب الصدور العظام فيولون ويعزلون من يشاؤون حسب ما يتوافق مع مصالحهم مما أفضى إلى حالة من التوتر والاضطراب الداخلي بسبب سوء تصرفاتهم . [1]

-الأسباب الاقتصادية :

كان في مقدمتها ضعف دخلهم المادي مما نتج عنه ثورات وتمردات فضلاً عن التعسف في جمع الضرائب وابتزاز أموال الأهالي، كما أدى توقف الفتوحات العثمانية خلال تلك الفترة إلى زيادة في عدد الجنود مقارنة بالموظفين العاديين، وتناقصت معها واردات الدولة واختل اقتصادها [2]

عانت الدولة العثمانية أيضاً من انخفاض في قيمة عملتها فقد كانت مغشوشة وكانت تدفع هذه العملات كرواتب للجند والتي يدخل في صبها بعض المعادن البخسة الثمن خفيفة الوزن وبالتالي كثيراً ما كانت الانكشارية تثور وتتجمهر قرب القصر السلطاني مطالبة بنقودهم الصحيحة [3]، وبالتي يمكن القول أن معظم تمرداتهم كانت بسبب تخفيض العملة، وما يترتب عليها من مشاكل أو بسبب تأخر دفع مرتباتهم فقد كانت خزينة الدولة موجهة للإنفاق عليهم بالمقام الأول مما يجعلها في كثير من الأحيان خاوية بسبب كثرة عدد القوات العسكرية. [4]

-الأسباب الاجتماعية :

لقد تعددت الأسباب الاجتماعية التي جعلت هذه القوات تلعب دوراً سلبياً في الدولة العثمانية كان أولها السماح لهم بالزواج، فقد كانت العزوبية مشجعة في صفوف الانكشارية بطرق مختلفة، وكان الهدف

([1]) الرديني ، يوسف عبد الكريم .(2004). المؤسسة العسكرية العثمانية ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ،ص164.

([2])المرجة ، موفق بني .(1984). صحوة الرجل المريض ، مؤسسة صقر الخليج ،الكويت ،ص44

([3]) الغازي . دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العمانية ، ص169.

([4]) حمودة ، سمية .(2006). حركة الفتح العثماني في القرن (11هـ/17م) ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ،ص263.

من تشجيعها هو جعل الجندي متفرغاً لعمله العسكري فقط محاولين إبعاده عن الارتباط بعائلة مما يفضي إلى فتور هممه الجهادية. [1] ، حيث تمكن الانكشارية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي من إلغاء مبدأ تحريم زواجهم فتحول الانتماء إلى سلك الانكشارية وراثياً من الأب للابن دون أي خبرة عسكرية [2]

أدت عملية الزواج أيضاً إلى قامة هؤلاء الجنود خارج ثكناتهم بين الأهالي وأصبح لهم أولاد وأسر وزاد ارتباطهم بالمجتمع بدلاً من ثكناتهم، واتجهوا لجمع الثروة والمال بجميع السبل المتاحة كمساعدة سلطان فاسد مقابل الهبات أو إجبار السلطان على وقف الحرب مع العدو إن لم يلبي مطالبهم .[3]

بعد السماح لأفراد الانكشارية بالإقامة خارج الثكنات ازداد ارتباطهم بالحياة المدنية ولم تعد حرفتهم الجندية الصرفة كما كان أمرهم خلال قوة الدولة العثمانية ، وإنما أصبحت الجندية بالنسبة لهم مهنة ارتزاق فلم يعودوا يذهبون إلى الثكنات إلا لاستلام مرتباتهم مما قوى فيهم روح الطمع وقد عود السلاطين الأوائل عند ارتقاء العرش أن يمنحوا الانكشارية منحة الجلوس الملكي السعيد . [4]

كان توقف الفتوحات يؤدي إلى انقطاع الغنائم عن الانكشارية فكانوا يقومون بالسلب والنهب بحق السكان وممتلكاتهم فتسببوا بحالة من الفوضى، وفقدان الأمن وعدم الاستقرار وكل هذه الأمور كانت تؤثر على الواقع الاجتماعي العثماني بصورة عامة، فلم نعد نجد شخصيات صرفت همها إلى البناء والتحسين في المجتمع بل عمدوا إلى زيادة شقوقه .

كما كان هناك انتشار للرشوة والمحسوبية في دوائر الدولة فكان يتولى المنصب الأعلى من يدفع المال مقابل ذلك وبهذا لم يكن الحل المناسب في المكان المناسب فقد كان هؤلاء لا يهمهم مصلحة الدولة

([1]) لونيسي . رابح ،(2010). تاريخ الجزائر المعاصر(1830–1989م)، دار المعرفة ، الجزائر ،ج1،ص43.
([2]) غب . المجتمع الإسلامي والغرب ،ص254–255.
([3])المنصور ، ميمونة حمزة .(2008). تاريخ الدولة العثمانية ، دار الحامد للنشر والتوزيع ،عمان ،ص112.
([4])غربي ، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288–1916م) ، ص41.

وكانوا يبتزون الشعب بالأموال ويفكرون في مصلحتهم الشخصية كيف يجمعون ثروة والعيش برفاهية وقد أدى ذلك إلى حدوث انهيار سياسي اجتماعي، واضطرابات اقتصادية داخل الدولة وبالتالي فساد الإدارة العثمانية . [1]

كما كان لشرب الخمر أثره في الحال الذي وصلت إليه الانكشارية فقد كان هذا الجيش يقوم على العاطفة والتربية الإسلامية والتدريب السليم مما شكل قوة اعتمد عليها في كثير من الحروب والانتصارات لكن فيما بعد ومع زيوع الخمر وضعف التربية الإسلامية تأثر الجيش بذلك وأجبروا السلاطين على التراجع عن قراراتهم المانعة لشربه ومنهم على سبيل المثال مراد الثالث ومن الآثار السلبية للخمر انعكاسه على السلاطين بحد ذاتهم الذين انغسوا به في قصورهم مهملين لشؤون دولتهم بشكل عام . [2]

ولو أريد سوق بعض الأمثلة على تمرداتهم وابتزازاتهم فيمكن الحديث عن تنازل السلطان مراد الثاني(982-1004هـ/1574-1595م)لابنه الأمير محمد الثاني عن العرش سنة (848هـ/1444م) [3] بعد شعوره بالإرهاق من أعباء الحكم ورغبة منه أن يصفوا بنفسه، ويتفرغ للعبادة وكان عمر ابنه 12 سنة ولم يكن باستطاعته تسيير أمور الحكم[4]، مما أدى إلى قيام الانكشارية بإعلان الثورة ضد الأمير محمد الثاني والتمرد عليه مستغلين غياب الأب فنهبوا مدينة أدرنة عاصمة الدولة آنذاك وأحرقوا الأسواق مما دفع السلطان مراد الثاني للعودة إلى الحكم وتمكن من تهدئة الأمور. [5]

([1]) جبارة ، تيسير. تاريخ الدولة العثمانية (1289-1924م)، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا ، القدس ، ص193.

([2]) شاكر ، محمود .(2015). التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، المكتب الإسلامي ، بيروت ،ص121-122.

([3]) السامرائي ، علو محمود أحمد ،(2010). الإنكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة 1826م ، مجلة التربية والعلم ، جامعة تكريت ، العدد2،المجلد17، ، ص71.

(2) زياد ، أبو غنيمة .(1983). جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، سوريا ،ص73.

([5]) قازان ، نزار .(1996). سلاطين الدولة العثمانية بين قتال الأخوة وفتنة الإنكشارية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1،

لقد تعدى هؤلاء الانكشارية في عصيانهم وتمردهم ليس فقط على الأهالي فقط بل بلغوا حتى المساس بالسلطان نفسه حيث تدخلوا في خلع وتنصيب السلاطين كما حدث في عهد السلطان بايزيد الثاني (822-918هـ/1418-1512م)، والذي تم إرغامه على التنازل عن العرش لصالح ابنه سليم الأول (918-926هـ/1512-1520م) فمنحهم السلطان الجديد بعد أن وقوفوا إلى جانبه الأعطيات والهبات المالية. [1]

في نهاية المطاف يمكن الوصول إلى فكرة أساسية شاملة هي أن المؤسسة العسكرية متمثلة بجيشها الانكشاري ابتعدوا عن واجبهم العسكري وعجزوا عن تحقيق الأمن والاستقرار فضلاً عن عجزهم للتصدي للقوى المعادية للدولة وأصبحوا قوة هدم بعد أن كانوا قوة بناء فقد كانت إيجابياتهم واضحة خلال الفترة الأولى من عمر الدولة في شتى مجالات الحياة، حيث برزت شخصيات منهم كان لها شهرتها وسيطها بينما لم يعد وجود مثل تلك الشخصيات ظاهراً في فترات الفساد التي مرت بها المؤسسة العسكرية مما كان له وقعه العكسي على الدولة بشتى ميادينها .

ص.34

([1]) السامرائي . الإنكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة 1826م ، ص72.

الاستنتاجات و التوصيات :

1-استطاع السلطان عثمان الأول الانتقال بشعبه من حدود القبيلة إلى حدود الإمبراطورية الشاسعة الأطراف بعدما استطاع تشكيل جيش نظامي حقق الانتصار تلو الأخر بناءاً على التنظيم الدقيق والصارم والمتشبع بروح الجهاد .

2-إن دور المؤسسة العسكرية لم يكن مقتصراً على الناحية العسكرية فقط كما روجت له أكثر الدراسات والمصادر التاريخية بل دورها الاجتماعي والاقتصادي والمالي لا يقل أهمية عن الشق الأول فقد كانوا قاعدة للدولة أيضاً .

3-لم تكن إيجابيات وسلبيات المؤسسة العسكرية مجرد مرحلتين زمنيتين متعاقبتين بل كانتا وجهين لعملة واحدة منذ البداية فالتنظيم الذي أسس الإمبراطورية حمل بذور تدميرها لأنه بنى شرعيته على الفتح وليس على الإنتاج المستدام .

4- على الرغم من الدور الواضح الذي لعبه أفراد المؤسسة العسكرية إدارياً إلا أن تغلغل العسكريون في المناصب الإدارية أدى إلى تراجع معايير الكفاءة المدنية وحول إدارة الدولة إلى امتداد لتراتبية عسكرية خالية من المرونة والابتكار الإداري .

5-تحول الولاة والقادة العسكريون في الأقاليم إلى قوى طاردة مركزية مستغلين سلطاتهم العسكرية لبناء إمارات مالية وإدارية خاصة مما أضعف سيطرة الباب العالي.

6-نجح نظام الدفشرمة في دمج عناصر مسيحية في النخبة الحاكمة ، لكنه خلق في الوقت نفسه شرخاً اجتماعياً عميقاً بين العسكر الحاكم والرعايا المحكومين .

7-كانت المؤسسة العسكرية محركاً للاقتصاد ومنهكاً له في آن واحد فالحروب جلبت الغنائم ووسعت الموارد لكن تكاليفها المتصاعدة أدت إلى عجز مزمن في الخزينة خاصة مع تراجع الفتوحات .

8–في النهاية تثبت الدراسة أن الفهم الحقيقي للمؤسسة العسكرية العثمانية يستعصي على التبسيط فلا هي كانت نموذجاً للكمال في عصرها الذهبي ، ولا كان الانكشارية مجرد عصابة همجية كما صورها خصومهم لقد كانوا ظاهرة تاريخية مركبة نتاجاً منطقياً لظروف إمبراطورية شاسعة وقدموا حلولاً عملية لتحديات عصرهم إدارياً ومالياً واجتماعياً قبل أن تتحول هذه الحلول نفسها إلى معضلات قاتلة.

قائمة المصادر والمراجع:

1–أبو غنيمة ، زياد .(1983). جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، سوريا

2–أوزتونا ، يلماز ،(2010). مذكرات خير الدين بربروس ، ترجمة : محمد دراج ، أصالة للنشر والتوزيع ،الجزائر

3–أوزتونا ، يلماز .(2008). تاريخ الدول العثمانيَّة، مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا، ج1

4–إينالجيك، خليل.(2007). التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانيَّة،، دار المدار الإسلامي ، ليبيا

5–بروكلمان ، كارل .(1986). تاريخ الشعوب الإسلامية ، تر : منير البعلبكي ،دار العلم للملايين ،بيروت

6–بكر ، عبد الوهاب .(1982). الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن 18م ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1،

7–بن دهيش ، عبد اللطيف .(1988). قيام الدولة العثمانية ، دار النهضة الحديثة ، مكة المكرمة

8–البنا ، سونيا محمد .(2006). فرقة الانكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية ، أتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة

9-بيتروسيان ، إيرينا .(2007). الانكشاريون في الإمبراطورية العثمانية ، تح: قسم الدراسات والنشر بمركز جمعية الماجد ، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث ، دبي

10-حسنين، إبراهيم.(2014). سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، دار التعليم الجامعي ، ليبيا ، 2014

11-الحويري ، محمود محمد .(2000). تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة

12-دوسون ، مرادجه .(1942). نظام الحكم والإدارة في الدولة العثمانيَّة في عهد مرادجه دوسون، الجامعة الأميركية في بيروت، لبنان

13-سرهنك ،إسماعيل .(1312هـ). حقائق الأخبار عن دول البحار ،المطبعة الأميرية ، مصر

14-سرهنك، إسماعيل.(1988). تاريخ الدولة العثمانيَّة، دار الفكر الحديث، بيروت، ج2

15-الشناوي ، عبد العزيز محمد .(2004). الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة

16-شوجر ،بيتر .(1988). أوروبا العثمانية ، ترجمة : عاصم الدسوقي ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة

17-طقوش ، محمد سهيل .(2013). تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، دار النفائس ، بيروت

18-عاشق باشا زاده ، أحمد بن يحيي (ت1484م). (1914). تواريخ آل عثمان ، تحقيق :عالي بك ، مطبعة أحمد كامل ، الأستانة (اسطنبول)

19-عامر ، محمود .(2024). المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية ،مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، ع117

20-الغازي ، أماني بنت جعفر .(2007). دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العمانية ، دار القاهرة ، مصر

21-غب، هاملتون، المجتمع الإسلامي و الغرب، تر: احمد أيبش، دار الكتاب الوطنية ، أبو ظبي ، ج1

22–غربي ، الغالي .(2012). دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288–1916م) ، ديوان المطبوعات العربية ، الجزائر ،2007م
23–ابن كمال (كمال باشا زاده)، أحمد بن سليمان (ت 1534).(1316هـ). رسائل ابن كمال ، مطبعة أندام ، استانبول ،ص200
24–كوندوز ، عرفان . (1984).الدولة العثمانية والتصوف ، د. ن، استانبول
25–لبيب ، حسين .(1921). تاريخ المسألة الشرقية ، مطبعة الهلال القاهرة
26–مانتران ، روبير .(1993). تاريخ الدولة العثمانية ، تر: بشير السباعي ،ج1، دار الفكر ، القاهرة
27–مجموعة من المؤلفين . (2008).موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة
28–المحامي ، محمد فريد بك .(1981). تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس ،بيروت
29–المرسي ، أحمد .(1983). الدولة العثمانية والولايات العربية ، مجلة الدار ،ع4
30–مروان ، محمد عمر .(2017). الإنكشاريون قوة الدولة وضعفها ، المجلة العلمية لكلية التربية ،ليبيا ، م2،ع8
31–معاشي ، جميلة .(2007). الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، رسالة دكتوراه ، جامعة منتوري ، قسنطينة
32–موستراس ، س.(2002). المعجم الجغرافي للدولة العثمانيَّة، تر: عصام احمد الشحادات، دار ابن حزم ، بيروت ،ط1
33–النعيمي ، أحمد نوري .(2006). الدولة العثمانية واليهود ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت
34–الهاشمي ، عبد المنعم . (2004).الخلافة العثمانية ، دار ابن حزم ،بيروت
35–ياغي ، إسماعيل .(1997). العالم العربي في التاريخ الحديث ، مكتبة العبيكان ، الرياض
36–ياغي ، إسماعيل أحمد .(1996). الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، مكتبة العبيكان ، الرياض

المراجع الأجنبية :

1- itzkowitzK, norman,(1972). Othman empire and Islamic tradition ,the university of Chicago press,London,

2- Ozen tok(2012)..osmanli teskilati.tufan gunduz.grafiker yay.ankara